

حتى الحجر والشجر!!

قال ابن إسحاق: وحدثني عبد الملك بن عبيد الله ، وكان واعيةً - أي : حافظاً - عن بعض أهل العلم ، أن رسول الله ﷺ حين أراد الله بكرامته ، وابتدأه بالنبوة ، كان إذا خرج لحاجته أبعد حتى تحسّر عنه^(١) البيوت ، ويُقضي إلى شعاب مكة وبطون أوديتها ، فلا يمرّ رسول الله ﷺ بحجرٍ ولا شجرٍ إلا قال: السّلام عليك يا رسول الله ، قال: فيلتفتُ رسول الله ﷺ حوله وعن يمينه وشماله وخلفه فلا يرى إلا الشجر والحجارة ، فمكث كذلك يرى ويسمعُ ما شاء الله أن يمكث ، ثم جاءه جبريل بما جاءه من كرامة الله وهو بحراء في شهر رمضان^(٢) .

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: إن النبي ﷺ قال لخديجة: «إني أرى ضوءاً وأسمع صوتاً ، وإني أخشى أن يكون بي جنٌّ» .

قالت: لم يكن الله ليفعل ذلك بك يا ابن عبد الله ، ثم أتت ورقة بن نوفل ، فذكرت ذلك له ، فقال: إن يك صادقاً ، فإن هذا ناموسٌ مثلُ ناموس موسى ، فإن بُعث وأنا حيٌّ فسأعزّزه وأنصره وأؤمن به^(٣) .

إذن:

الرسول ﷺ روح الوجود ، لذلك فالإنسان والحيوان والجماد وكل شيء إلا الكافر المعاند ، له علاقة وطيدة به صلوات الله عليه ، يحبه . . يتشفع به . . يتمنى لو يراه . .

(١) أي: تبعه .

(٢) سيرة ابن هشام: ٢٥٢/١ .

(٣) المسند: ٣١٢/١ ، طبقات ابن سعد: ١٩٥/١ .

والأدلة على ذلك كثيرة ، وقد ذهب بعض كتّاب السير والتراجم إلى إفراد كتب في ذلك ، إضافة إلى كتب الأحاديث النبوية وغيرها ، مثال ذلك قصة الأعرابي الذي جاء إلى مجلس النبي ﷺ وقد وضع في كفه ضرباً ، فلما عرض عليه الإسلام ، قال : واللوات والعزى لا آمنتُ بك حتى يؤمن بك هذا الضبّ ، فنطق الضب : آمنت برسول رب العالمين وخاتم النبيين ، وقد أفلح من صدّقك ، وقد خاب من كذبتك^(١) . .

اسمع يا صاح فذا شعرتُ
أنشئ أبياتاً لمن يفهم
يا رب صلّ على الهادي
واسمح يا رب بغفران
للهادي معجزةً عليا
أعرابيٍّ جاء الهادي
ورسول الله مع الأصحا
دخل الأعرابي وقال له :
قال الأعرابي : ومن يشهد؟
رضي المختار وقال : أتشهد
أرسلك الله لكل الخلق
فتعجب منه الأعرابي
هذا المبعوث لنا حقاً
آمنتُ به وبيعته
أشهدكم أني خادمه

قد فاق الدرّ لمن يفهم
في مجلس ياسين تكلم
واغفر ما أنت به أعلم
بالهادي ذي القدر الأعظم
فاصغ لحديثي وترّم
معه ضبّاً لا يتكلم
ب له نورٌ عالٍ أفخم
هل أنت رسول الله؟ قال : نعم
قال : فاختر من ترضاه ليحكم
لي يا ضبّاً؟ فقال : نعم
بشيراً بالدين الأقوم
وتذلل للهادي وأسلم
ورسالتة فينا مغنم
وبأن الله له كلّم
والروح فداه إن سلّم

* * *

(١) يراجع : البداية والنهاية لابن كثير : ١٧١/٦ ، الجامع للسيوطي : ١١٢٤/١ ، دلائل النبوة : ٣٧/٦ ، وغيرها .